

رايتا الأمير عبد القادر الجزائري المحفوظتان بالمتحف المركزي للجيش - رموز ودلالات -

د. هجيرة تمليكشت *

الملخص:

يعتبر الأمير عبد القادر هو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة وقائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي بين 1832م و1847م، كما يعد أيضا من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين. وكان من أشهر دعاة السلام والتآخي بين مختلف الأجناس والديانات حيث نال إعجاب كبار السياسيين في العالم على غرار الأمريكيين اللذين سموا إحدى مدنها باسمه.

عاش الأمير ثلاثة مراحل متميزة بخصائصها وأحداثها، الأولى قضاها في طلب العلم وتعرف فيها على أوضاع البلدان العربية عن طريق الحج. و الثانية عاشها في الجهاد، أما الثالثة فقد قضاها في ديار الغرب أسيرا في فرنسا ومجاهدا محتسبا في بورصة، ودمشق.

يحتفظ المتحف المركزي للجيش برائتين (راية لجهاده وأخرى ترمز للسيادة الوطنية) تعكسان جانبا هاما من حياته السياسية والنضالية وعلاقته بأعظم قادة عصره.

* - أستاذة باحثة في الآثار الإسلامية، معهد الآثار جامعة الجزائر2، الجزائر.

Abstract:

El Emir Abdelkader is considered as the founder of the modern Algerian State and a leader of the resistance against French colonial rule between 1832 and 1847. He is also one of the most famous religious scholars mysticism and poetry men . He was a defender of peace and brotherhood between different races and religions where he won the admiration of high-ranking politicians in the world, so that the Americans named one of their towns by his name.

El Amir Abdelkader passed three particular and distinct phases and events during his life, he spent the first one studying and science, during this period he could know the situation of Arab countries during his pilgrimage, the second stage was the period of jihad, while the third was spent in foreign countries as a prisoner in France and a mujahid at Bursa, and Damascus.

The Central Museum of el Army at Algiers Preserves two banners (the banner of El jihad of Emir Abdelkader and the other symbolizes national sovereignty), they represent an important part of his political and militancy life, and his relationship with the greatest leaders of his period.

مقدمة:

يعتبر الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورائد مقاومتها ضد الاستعمار الفرنسي بين 1832م و1847م، كما يعد أيضا من كبار رجال التصوف والشعر وعلماء الدين . وكان داعية سلام وتآخي بين مختلف الأجناس والديانات حيث نال اعجاب كبار السياسيين في العالم.

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى أشهر باسم الأمير عبد القادر الجزائري، ولد في 23 رجب سنة 1223 هـ/06 سبتمبر 1808م، بقرية القيطننة غربي مدينة معسكرو تبعد عنها ب28 كلم، ويرجع نسبه الأعلى الى الإمام علي

ابن ابي طالب كرم الله وجهه، وفاطمة الزهراء بنت الرسول - صلى الله عليه وسلم -

عاش الأمير ثلاثة مراحل متميزة بخصوصياتها وأحداثها، الأولى قضائها في طلب العلم و تعرف فيها على أوضاع البلدان العربية عن طريق الحج، والثانية عاشها في الجهاد، أما الثالثة فقد قضائها في ديار الغربه أسيرا في فرنسا ومجاهدا محتسبا في بورصة، ودمشق¹.

تعتبر المرحلة الثانية (1249_1265هـ/1832_1847م) أهم مرحلة في حياته لما حفلت به من تطورات وأحداث خطيرة، ابتدأت هذه المرحلة بالتحاقه بالمتطوعين للجهاد رفقة والده، فعرف بشجاعته و حسن تدبيره في اول اشتباك مع القوات الفرنسية في معركة خنق النطاح الأولى في 4 ماي 1832، وبرزت شجاعته اكثر في معركة خنق النطاح الثانية في 4 جوان 1832، فكانت إحدى الدوافع لتولية قيادة الجهاد، بل وجد نفسه مرغما على قبول هذا المنصب بعد تأزم الوضع الأمني بالمقاطعة الغربية، وبعد عشرة ايام من ذلك اجتمعت قبائل اهل غريس واتفقت على إسناد القيادة لوالده مجددا، غير أن كبر سنه من جهة و عدم رغبة السلطان المغربي في تبني جهاد الجزائريين من جهة أخرى لسبب الضغوط الفرنسية، اضطر الحاج محي الدين إلى اقتراح مبايعة ابنه عبد القادر بديلا له، فبوع أميرا في السابع و العشرين من شهر نوفمبر عام 1249هـ/ 1833م، ليشرف على إدارة الجهاد، متخذا من مدينة معسكر حاضرة له².

بعدها باشر في تنظيم صفوفه و مجابهة العدو، و في 17 رمضان 1248هـ/ 4 فيفري 1833م، حصلت البيعة الثانية للأمير في معسكر تدعو للتأييد التام و الطاعة المطلقة لتأمين العدالة واستتباب الأمن و محاربة

المستعمر³ حيث خاض عدة معارك ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن الوطن وبعدها نفي إلى دمشق وتوفي فيها يوم 25 مايو 1883 م.

أولاً: تعريف الراية:

الراية عبارة عن قطعة قماش منقوش عليه رمز أو رموز للدلالة على قبيلة أو عشيرة أو دولة وقد عرفت بعدة تسميات، منها "اللواء" و "الراية" وهما قديمان قدم الحرب نفسها، لأنهما صاحباها منذ البداية وعاشا في خضمها منذ أول اشتباك وقع بين جمعين، وكانت الغاية من استعمالها جمع الشمل وتوحيد الكلمة، هذا فضلاً عن أنهما الرمز الذي يلازمه ويلتف حوله، فإذا رفعها رفعت الرؤوس وغلا في النفوس الاندفاع للمعركة. وعلى الرغم من كونها خرقة على عصي أو رماح، فهما أهيب في القلوب وأهول في الصدور وأعظم في العيون، وكانت الغاية من استعمالها جمع الشمل وتوحيد الكلمة. ومن الأعراف والتقاليد أن الراية هي رمز للقوة والسيادة وعرف المسار التاريخي للجهاد الإسلامي الراية منذ عهد سيد الخلق و خاتم الأنبياء عليه أزكي الصلوات والتسليم⁴. والراية تختلف من شعب لآخر من حيث اللون والشكل والحجم باختلاف الدول وبتنوع الجيوش واختلاف مأموريته.

ونظراً للدور الحربي الذي تلعبه الرايات في تاريخ الصراع بين الشعوب خصوصاً أثناء المعارك القتالية الفاصلة، فقد علق عليها المسلمون أهمية خاصة منذ فجر الإسلام وبداية حركة الفتوح في عهد الخلفاء الراشدين، حيث استعملوها كوسيلة للنداء في بعض معاركهم الحاسمة. فهي في الحقيقة شارات تعريف قومية، هذا ما أوعز للأمير باستحداث دلالة خصوصيتها ضمن الهيئة الحضارية والإقليمية وفي إطار سلك الجندية⁵.

ثانيا: راية جهاد دولة الأمير عبد القادر (صورة 1):

ليس هناك مصدر أو مرجع يشير بالضبط إلى تاريخ أول راية جهاد بالمعنى الحقيقي في عهد الأمير عبد القادر، غير انه من المرجح ووفقا لإطلاع الأمير على حضارات الشعوب و خاصة أثناء أدائه مناسك الحج مرتين متتاليتين، رمز إلى جهاده في النصف الأول من ثلاثينيات القرن التاسع عشر براية عملاقة ذات اللون الأسود. ومن المرجح انه اتخذها كذلك اسوة بالرسول- صلى الله عليه وسلم-الذي كانت رايته سوداً⁶. وسلمت لمتحف الجيش عام 1970 م من قبل الفرنسي Jack Chevally⁷.

هي مصنوعة من قماش أسود رقيق ذي مسحة ملساء و القابل للرفرفة أثناء المعارك، و القابل أيضا لللف دون أن يتعرض إلى الطبقية خلال لفه يحفها شريط برتقالي أصفر، و تضم المساحة السوداء كتابات بخط النسخ غير مشكلة ضمن أشكال هندسية عبارة عن خراطيش، تحصر بداخلها عبارات دينية وأسماء بخط النسخ وهي موزعة على النحو التالي:

في الأعلى أربعة خراطيش مستطيلة (كل خرطوشين متقابلين اثنان في الأعلى واثنان في الأسفل تفصل بينهما زهرة رباعية البتلات) كتب عليهما :

الشهادتان، ثم الآية 13 من سورة طه متبوعة بعبارة " يا محمد " وذلك على النحو التالي:

الشريط الأول: _ لا اله الا الله - محمد رسول الله

الشريط الثاني: _ نصر من الله وفتح قريب - وبشر المؤمنين يا محمد
أما الكتابة السفلية فقد نفذت داخل إطار هندسي على شكل جامعة كبيرة لوزية الشكل و هي غير واضحة (عبارة عن حروف متراكبة تعذر علينا

قراءتها) باستثناء اسم الجلالة "فتحا" "من" واسم الجلالة "الله" محاطة بخمس دوائر صغيرة كل دائرة تحصر اسم أحد الصحابة رضوان الله عليهم كتبت على النحو التالي: أبو بكر-وعمر- و عثمان - و علي - وسعد وربما المقصود هنا الصحابي سعد ابن ابي وقاص آخر من توفي من العشرة المبشرين بالجنة و من المهاجرين.



صورة 1: راية جهاد دولة الأمير عبد القادر

1. المادة الخام: الكتان.

صنعت هذه الراية من الكتان الرقيق ذي المسحة الملساء و القابل للرفرفة أثناء المعارك، و القابل أيضا للف دون أن يتعرض إلى الطباقية خلال لفه. وعرف استعمال مادة الكتان منذ الحضارات القديمة المصرية و البابلية، حيث استعمل كمادة نسيجية ، كما كانت تستخرج الزيوت من بذوره⁸. وكان الفراعنة يقومون بلف المومياء بمادة الكتان. كان لهذا القماش مصدران الأول يؤتى به عن طريق المبادلة التجارية مع العدو أثناء فترات الهدنة و الثاني بلاد المغرب الأقصى⁹.

2. العبارات الدينية المطرزة على الراية:

الشهادتان: لا اله الا الله محمد رسول الله

نصر من الله وفتح قريب و بشر المؤمنين يا محمد (الآية 13 من سورة طه)

(شكل 1)



شكل 1/ العبارات الدينية المنسوجة داخل الخراطيش

تدل الشعارات الدينية الواردة على الراية والمكونة من الشهادة، والبشرى بالنصر والفتح القريب يا محمد، و الذي يقصد به كذلك كل أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على ارتباطها بالدور المنوط بها و هو الجهاد من أجل نصرة الاسلام و اعلاء كلمة الحق.

فتحا من الله: أي أن الفتح والنصر لا يكون إلا بإذن الله عز وجل، و عليه يبدو أنها أخذت بعدا دينيا كما يتضح من خلال العبارات المكتوبة عليها و ترمز كذلك إلى روح التفوق و العزة بالنفس.

3. أسماء الخلفاء الراشدين والصحابة:

- أبو بكر: هو أبو بكر الصديق عبد الله بن أبي قُحافة التيمي القرشي

(50 ق هـ - 13هـ / 573م - 634م) هو أولُ الخُلفاء الراشدين، وأحد العشرة

المُبشرين بالجنة.

ولد في مكة سنة 573م، وكان من أغنياء قُريش في الجاهليّة، فلما دعاه النبي مُحمد - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام أسلم دون تردد. ثم هاجر برفقته من مكة إلى المدينة، وشَهِد غزوة بدر والمشاهد كلها مع النبي مُحمد. توفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - يوم الإثنين 12 ربيع الأول سنة 11هـ، وبويع أبو بكر بالخلافة في اليوم نفسه، فبدأ بإدارة شؤون الدولة الإسلامية من تعيين الولاة والقضاء وتسيير الجيوش، وارتدت كثير من القبائل العربية عن الإسلام، فأخذ يقاتلها ويُرسل الجيوش لمحاربتها حتى أخضع الجزيرة العربية بأكملها تحت الحكم الإسلامي، ولما انتهت حروب الردّة، بدأ أبو بكر بتوجيه الجيوش الإسلامية لفتح العراق وبلاد الشّام، ففتح مُعظم العراق وجزءاً كبيراً من أرض الشّام. توفي أبو بكر يوم الإثنين 22 جمادى الآخرة سنة 13هـ، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، فخلفه من بعده عمر بن الخطّاب¹⁰.

- عمر: هو الفاروق عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله رضي الله عنه ولد بعد عام الفيل بثلاث عشر سنة أي قبل الهجرة بأربعين عاماً، هو أول من نودي بأمر المؤمنين و ثاني الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر الصديق وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأول من عمل بالتقويم الهجري، اشتهر بالعلم والزهد والشجاعة توفي مقتولاً من طرف أبي لؤلؤة المجوسي فجر يوم الأربعاء من ذي الحجة سنة ستة وعشرين ودفن في المدينة بجانب النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق رضي الله عنه.¹¹

- عثمان: هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس المعروف بـ " ذو النورين " وهو من أوائل من أسلم، وكان سنه فوق الثلاثين حينما دعاه أبو بكر للإسلام فجاء للنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم ويعد ثالث الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر وعمر رضي الله عنهم. وقد تولى الخلافة وعمره

ثمان وستون عاماً ومن أهم إنجازاته جمع كتاب الله الذي بدأ جمعه في خلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه وروى بعض من الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي رضي الله عنه مقتولاً يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة في صباح أول يوم من أيام عيد الأضحى رضي الله عنه¹².

علي: هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي ولد في مكة وتربى في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ويكنى بأبي الحسن هو من أوائل من أسلموا حيث يعد ثاني أو ثالث من أسلم هو ابن عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتزوج ابنته فاطمة، وهو رابع الخلفاء الراشدين وقد بويع بالخلافة عام خمس وثلاثين هجري وحكم خمس سنوات وثلاثة أشهر حتى قتل على يد عبد الرحمن بن ملجم في رمضان سنة ثلاثين هجري رضي الله عنه¹³.

- سعد: هو سعد بن أبي وقاص من أوائل من سبقوا للإسلام وكان في السابعة عشر من عمره ولم يسبقه في الإسلام إلا أبو بكر وعلي بن أبي طالب وزيد رضي الله عنهم، وقد اعتزل الفتنة التي تلت مقتل عثمان وقيل أنه بقي يرعى الغنم وهو أحد المبشرين بالجنة وتوفي رضي الله عنه في قرية وقاص بالغوار في الأردن ودفن هناك رضي الله عنه¹⁴.

ويبدو أن الأمير عبد القادر الجزائري نقش أسماء الصحابة رضوان الله عليهم، أسوة بهم وبسيرتهم، أي أنه يسير في جهاده على نفس الوتيرة التي ساروا بها خلال فتوحاتهم ويصبو لتحقيق نفس الغرض الممثل في نصرة الاسلام والمسلمين.

4. الألوان ودلالاتها:

اللون الأسود : اتخذ الأمير راية سوداء شارة تعريف لجهاده أسوة براية الجهاد الخاصة بالرسول - صلى الله عليه وسلم - ، فكون راية الأمير اعتمدت هذا اللون، إنما أرادت أن تجد لنفسها موقعا في التراث الإسلامي.

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - كان يستعمل في غزواته راية سوداء مربعة يقال لها "العقاب"¹⁵، كما أن بعض أمراء الإمارات الإسلامية تبينوا اللون الأسود لراياتهم وأعلامهم.¹⁶ من هنا فلا غرابة أن جعل الأمير رايته باللون الأسود، لأن هذا اللون في الوجدان العاطفي للإنسان يعطي صورة من الحزن على بلد ضاعت وسط تكالب الأعداء، تريد الخلاص بالجهاد و التضحية، كما أن الشعر العربي كرس صورة الراية السوداء في اتجاه يوحي بالبأس والنجدة والحداد أيضا¹⁷.

أما النصوص الكتابية فقد طرزت باللون المذهب، و قد أشار ابن خلدون أن ملوك بلاد المغرب الأولين لم يختصوا راياتهم بلون واحد، بل وشوها بالذهب والحريير الخالص ملونة.¹⁸

5. نوع الخط المستعمل:

نفذت النصوص الكتابية بخط النسخ، حيث وردت خالية من نقاط الإعجام، وسي بذلك لأنه الخط الذي كانت تنسخ به الكتب قديما، كما سي بعدة تسميات: البديع، المقور، المدور، وهو من الخطوط العربية الجميلة يجمع بين الرصانة والبساطة. يعود ظهوره إلى أوائل القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، ويعود الفضل إلى ابن مقلة الذي وضع أسسه، وساهم بعده العديد من الخطاطين العرب والأتراك وصولا إلى الفترة المعاصرة¹⁹. نفذت النصوص الكتابية داخل جامات وخراطيش مختلفة الأشكال، و يتخلل

الموضوع الزخرفي زخارف نباتية من أزهار بسيطة، ويعلو الموضوع الزخرفي ككل زخرفة عمائرية على شكل شرافات.

6. العناصر الزخرفية:

- الجامات و الخراطيش:

هي كلمة فارسية الأصل، تطلق في الزخرفة على مجموعة الرسوم التي تكون وحدة بيضاوية الشكل أو مستديرة²⁰، وتعرف هذه الأخيرة أيضا بالصرة، عمت هذه الأشكال وانتشرت في الزخرفة الإسلامية بإيران في القرن 10هـ/16م على السجاجيد وجلود الكتب والصفحات الأولى للمخطوطات.²¹

كما تعرف بالخرطيش و يعود أول استعمال لها إلى مصر الفرعونية، وتواصلت خلال العصر الإسلامي، وتتخذ أشكالا عديدة ومتنوعة فمنها الشكل البيضاوي والشكل الطولاني والنصف الدائري والمفصص واللوزي وعلى هيئة صنجات وغيره من الأشكال.

وغالبا ما تتوسط هذه الجامات (الخرطيش) زخارف نباتية متنوعة أو كتابية، مثلما هو الحال بالنسبة لرأية الأمير عبد القادر، فقد استعمل هذا العنصر الزخرفي يحصر بداخله كتابات نفذت بخط النسخ، وهي من الأعلى إلى الأسفل على النحو التالي:

في الأعلى نجد أربعة خراطيش مستطيلة الشكل ينتهي كل خرطوش على جانبيه بثلاثة فصوص على شكل أنصاف دوائر بارزة، وكل خرطوشين متقابلتين ومتناظرتين (شكل 1).

أما في الأسفل فنجد في المركز جامعة لوزية الشكل كبيرة تحصر بداخلها كتابة من سطرين نفذت بالخط النسخي وهي غير مشكلة، حيث

تعذر علينا قراءتها لتداخل حروفها باستثناء: (فتحا / من / الله) ، في السطر الأول: فتحا من، أما السطر الثاني: الله (شكل 2).

وتنتهي هذه الجامة في كل ركن من ركنيها بزهرة ثلاثية البتلات، و كل زهرة تحصر بداخلها زخرفة

على شكل دمعة محاطة بثلاث دوائر صغيرة.



شكل 2/ الكتابة المنسوجة داخل الجامة اللوزية الشكل.

- الدوائر: لعبت الدائرة دورا كبيرا في استخراج مختلف الأشكال الهندسية الأخرى من المثلث إلى المربع إلى النجوم بمختلف عدد رؤوسها، وهي ترمز للكون، وعن دورة الحياة لأنها تنتهي من حيث تنطلق²².

- الأزهار: تعتبر من العناصر الأساسية في الزخرفة الإسلامية، ولعل طبيعة شكلها وجمالها كانت وما تزال من أهم العوامل التي أدت بالفنان اعتمادها كعنصر زخرفي، استعمل هذا العنصر الزخرفي في راية الأمير عبد القادر مجسدا في زهرة رباعية البتلات في المساحة الفاصلة بين الجامات الأربعة المستطيلة الشكل، وربما استعملت هنا لملء الفراغ ، وهي ظاهرة معروفة في الفن الإسلامي (شكل 3_أ).

كما توجت الجامة المركزية الكبيرة في نهايتها بزخرفة على شكل زهرة ثلاثية البتلات، و المعلوم أن رقم ثلاثة يرمز إلى الوتر من جهة و إلى الأركان الأساسية للدولة وهي الدين والأرض والسلطان (شكل 3_ب).



بـ



أـ

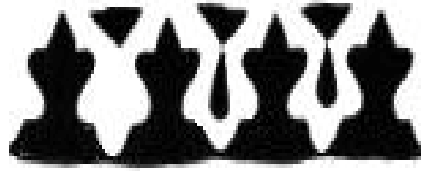
شكل 3/ أشكال الأزهار الواردة على الراية

- الحبيبات: و تعرف كذلك بحبيبات اللؤلؤ، وهي غالبا ما تستعمل كعنصر زخرفي فاصل في الموضوع، و استعملت هنا لملء الفراغ في الأزهار الثلاثية ولإضفاء جمالا أكثر على الموضوع الزخرفي.

- الزخارف العمائرية:

- الشرافات: مفردتها شرفة أو شرافة، وهي تعني ذلك العنصر المعماري الذي ارتبط كثيرا بالعمائر العسكرية منذ العصور القديمة، لينتقل إلى العمارة الإسلامية، ويتعدى هذه الوظيفة ليصبح عنصرا زخرفيا إلى جانب دوره العسكري، حيث نجده يتوج مختلف العمائر العسكرية والدينية والمدنية، كما استخدمه الفنان كحلية زخرفية في مصنوعاته التطبيقية²³، وللشرافات دلالات خاصة عند المسلمين، فهي تتجه برؤوسها إلى الأعلى لتوحي إلى الارتباط بين السماء والأرض من ناحية وبين سواسية الناس كأسنان المشط²⁴.

وقد عمد الفنان هنا وضعها في أعلى الموضوع الزخرفي لما لها من دلالة خاصة، فهي توجد عادة في أعلى المباني وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعالم الدفاعية، كعنصر معماري و دفاعي أيضا، لذلك استعملت في راية الجهاد للدلالة على الجهاد.



شكل 4 / الشرافات.

ثالثا: راية دولة الأمير عبد القادر: (صورة 2).

عندما تولى الأمير عبد القادر الجزائري زعامة المقاومة الشعبية المسلحة في غرب الجزائر ووسطها، اتخذ علما جديدا مغايرا للعلم الجزائري المعتمد خلال العهد العثماني، فاستعاض عن اللون الأحمر باللون الأخضر و هو مصنوع من الحرير القابل لللف و الرفرفة، رسمت على رايته يد مبسوطة أحيطت في شكل نصف مستدير بالشعارات التالية: " نصر من الله و فتح قريب، ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين 25" أما عن ألوان هذه الراية فكانت موزعة على النحو التالي : أعلى الراية وأسفلها كانا اخضرين، أما وسطها فكان أبيض، أما الرسم و الكتابة فقد نفذت باللون الذهبي، و يبدو أن ظهور الراية بهذه الهيئة كان لها بعد سياسي فهي ترمز إلى ميلاد دولة جزائرية مستقلة عن التبعية للخلافة العثمانية، و هي ترتبط كذلك بالحالة

السياسية حيث أنه بوع كرائد للمقاومة ودليل ذلك الشعار الخاص بها (نصر من الله وفتح قريب).



صورة 2/ راية دولة الأمير عبد القادر

1. المادة الخام: الحرير.

تقوم صناعته على شجرة التوت و تربية دودة القز. وقد ساعدت الفتوحات الإسلامية على انتشار تربية دودة الحرير في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط، حيث تسمح الشروط المناخية بغرس أشجار التوت خاصة في جنوب سوريا و جزيرتا قبرص و صقلية و جنوب تونس و على وجه الخصوص اسبانيا الجنوبية التي نقل إليها السوريون دودة القز بعد أن انتقلت من موطنها الأولى بالصين عن طريق التجّار والرّحالة²⁶. أما في الجزائر فقد اشتهرت بصناعته مدن كثيرة خاصة الجزائر و شرشال و برشك و تنس حيث تربية دودة القز المنتشرة بها²⁷. كما كانت النساء تشارك في تربية دودة القزو الحرير²⁸.

2. العبارات الدينية المنقوشة على الراية:

نصر من الله وفتح قريب : وردت في قوله عز وجل بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾²⁹ ، والتي تعني جزاء الصابرين و المجاهدين في سبيل الله النصر في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة. أي : إذا قاتلتم في سبيله ونصرتم دينه ، تكفل الله بنصركم، فهذا الشعاري عكس الظروف السياسية التي كانت سائدة آنذاك، حيث تمت فيها مبايعة عبد القادر الجزائري كأمر على الجهاد. وقد أرفق هذا الشعاري باسمه الكامل وهو: عبد القادر بن محي الدين، و اطلقت عليه ألقابا عدة من بينها ناصر الدين.

3. الأشكال الرمزية: اليد المبسوطة:

أو الخامسة عبارة عن حلية في شكل يد مفتوحة من معدن مذاب ، تستعمل عادة عند النساء و الأطفال اعتقادا منهم بأنها تقيهم من الشرور و الحسد، فتعلق اما على الملابس مباشرة ، أو في عقد ، كما نقشها العرب و اليهود قديما على واجهة مبانيهم لطرد النحس و الأمراض عنهم.

واستعملها الأمير عبد القادر كرتبة عسكرية لمكافحة فرسان خيالاته عن تفانيهم في صد هجمات العدو وحث الآخرين على الجهاد، فبعدما كانت تعلق على الصدر أصبحت تعلق على الرأس (فوق الشاشية)، و أسماها الشيعة³⁰. أما استعمالها على راية دولته، فهي ترمز للمبايعة على الجهاد³¹ (شكل 5).

تمت مبايعة عبد القادر تحت شجرة الدردار كان الدافع اليها اقتفاء أثر السلف الصالح، وتقليد الصورة الرائعة التي تمت فيها مبايعة الرسول- صلى الله عليه وسلم - في بيعة الرضوان تحت شجرة الحديبية والتي ذكرها

المولى تعالى بقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾³². وبعد أن تمت البيعة توجه الأمير إلى مسجد معسكر، ووقف خطيباً في الجموع الكبيرة، حاثاً فيها الناس على الانضباط والالتزام داعياً إلى الجهاد والعمل. وبعد الانصراف أرسل الأمير الوفود والرسائل إلى بقية القبائل والأعيان الذين لم يحضروا البيعة لإبلاغهم بذلك، ودعوتهم إلى مبايعته أسوة بمن أدى واجب الطاعة فلبى الجميع النداء، وانعقد بذلك مجلس عام جرى فيه أداء البيعة الثانية العامة في 13 رمضان سنة 1248 هـ الموافق لـ 4 فبراير 1833 والذي يعتبر استفتاء شعبي حر اختار فيه القوم بكل حرية ومسؤولية الشخص المناسب الذي سيتولى شؤون هذه الدولة.



شكل 5/ اليد المبسوطة.

4. تقنية الطرز المستعملة لتنفيذ الكتابة والأشكال:

هو وضع اشكال هندسية او نباتية او كتابية و غيرها فوق القماش، عن طريق تعليمها حيث ترسم أشكالا معينة وخطاطتها بالحرير أو أنواع من الخيوط الأخرى ذات الألوان المناسبة عليها، والذي يتطلب توفير الأبر و خيط الحرير³³، وقد تطورت هذه الحرفة واصبحت لها مصانع تعرف ب(دور الطراز) حيث أولى الخلفاء أهمية خاصة فعينوا مشرفين عليها، ويلقب المشرف ب "صاحب الطراز"، وكان لكل مشرف مساعد ومحاسب يشرف على

الأمر المالية ورئيس للعمال لتنظيم العمل وإدارته. وكان بكل دار نسج "أسطى" يشرف على قاعة الحياكة بما فيها من الأدوات، ويشرف على تعليم الصبيان أسرار الصنعة على يد الصناع اللذين كان لهم تنظيم خاص بهم يوفر لهم الرعاية الاجتماعية التي تحفظ لهم حقوقهم وتنظم أعمالهم، والتي كان يطلق عليهم تنظيم "طائفة النساجين"³⁴، نفذت الزخارف على كلتي الرايتين بأسلوب الطرز، واستعمل في كلتي الرايتين الحرير المذهب.

5. الألوان ودلالاتها:

- اللون الأبيض: ارتبط هذا اللون منذ القدم بضوء النهار الذي يبدد سواد الليل وبالتالي أصبح لون التطهير³⁵، كما يرمز للصفاء والنقاء، حيث ورد في أحد عشرة موقعا في القرآن الكريم: قال تعالى ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾³⁶. قال تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾³⁷.

قدس الفنان المسلم هذا اللون، باعتباره اللون الذي أحبه وارتداه الرسول - صلى الله عليه وسلم-³⁸ ويذكرنا بألوان راياته³⁹، حيث "كانت رايته سوداء ولواؤه أبيض". ومن المحتمل جدا أن الأمير عبد القادر اتخذ هذا اللون في رايته أسوة بالرسول - صلى الله عليه وسلم -، كما يرمز هذا اللون إلى السلام الذي طالما كان يناشد من أجل تحقيقه وبالتالي اتخذه رمزا لراية دولته.

- اللون الأخضر : من الألوان التي استعملها الفنان المسلم بكثرة في منتجاته الفنية، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم ليدل على لباس أهل الجنة وما ينتظره المسلمين من نعيم، منها قوله تعالى: ﴿ويلبسون ثيابا خضرا من

سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك⁴⁰ وقوله جل شأنه: ﴿مَتَكِّئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خَضْرَاءَ وَعَبْقَرِي حَسَانٍ﴾⁴¹.

ودل على النعيم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نَخْرُجُ مِنْهُ حَبًّا مَتْرَاكِبًا﴾⁴² كما ذكر أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى جانب اللون الأسود فضل كذلك الأصفر والأخضر⁴³. وأعلام العلويين خضراء ، ويقال ان استعمال المسلمين اللون الأخضر نسبة الى كسوة الأرض في فصل الربيع، وهو رمز للخصب المادي و الروحي على حد سواء ، كما اتخذها الأمير عبد القادر كلون رايته و الذي يرمز كذلك للرخاء و الازدهار⁴⁴.

الخاتمة:

من خلال دراستنا لهاتين الرايتين استطعنا تحديد الركائز الأساسية التي استمدت منها قوامها الروحي، والذي يتأكد من خلال توأمة لون و عبارات الرايتين مع مضمونها.. حيث حاول الامير عبد القادر ان يتخذ في الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة في سيرته في اتخاذه اللون الاسود لراية جهاده، مثلما ورد في محكم تنزيله بعد بسم الله الرحمن الرحيم ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ (الآية 21 من سورة الاحزاب) وتضمنت شعارات و رسوماً ت تعبر عن أفكاره وتوجهاته، و توجي النصوص الكتابية التي نسجت على الرايتين والمستنبطة من الآية 13 من سورة الصف ، وهي بذلك تعكس الوضع السياسي الذي كان سائدا آنذاك و هي فترة المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي. فكانت تحث على الجهاد و ما ينتظره المجاهدون و المرابطون في سبيل الله من ثواب في الدار الآخرة، كما نسجت أسماء الصحابة رضوان الله عليهم ، أسوة بهم و اقتفاء بسيرتهم، حيث كان

يصبو لتحقيق نفس الغرض المتمثل في نصرة الاسلام و المسلمين. ونفس الشيء بالنسبة لراية دولته، فهو أول من وضع تصميم راية الدولة الجزائرية الحديثة، التي جاءت مخالفة للراية العثمانية، وكانت تنبئ بميلاد دولة جديدة بعيدة عن التبعية السياسية للخلافة العثمانية ، و جاءت مصحوبة بشعار النصر والفتح القريب، واليد المبسوطة التي ترمز الى المبايعة.

و طرزت النصوص الكتابية داخل جامات وخراطيش متعددة الأشكال، كما استعملت بعض الزخارف النباتية و المتمثلة في الازهار الثلاثية و الرباعية البتلات لملء الفراغات الكائنة بين المساحات الزخرفية، وهي ظاهرة معروفة في الفن الاسلامي (الهروب من الفراغ)، إلى جانب الزخرفة العمائرية المرتبطة أساسا بالمنشآت الدفاعية و المتمثلة في الشرفات المسننة ، وهي تتماشى و دور الراية الجهادي.

وعليه فهاتان الرايتان حققتا البعد الذي استحدثت من أجله. و في ذلك يمكن أن نخلص إلى أن الراية في روحها و فلسفتها تقوم على التوحيد من خلال الشهادة و روح الجهاد لتخليص البلد من الاحتلال الفرنسي و حتى الألوان كانت لها دلالاتها الخاصة.

الهوامش

1. أنظر: الجزائري(محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح و تعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف و الترجمة والنشر، بيروت، طبعة 2، 1964 م، ص54.
2. يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، د.ت، ص، 47.
3. نفسه، ص 46-47.

4. صالح بن قربة، دراسة، "الرايات والأعلام في التاريخ العسكري الإسلامي" من خلال المصادر التاريخية والأثرية، ص 2
5. عشراتي سليمان، الأمير عبد القادر السياسي، ط 2، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، 2004، ص 148.
6. عائشة حنفي، "البنود والأعلام البحرية بالجزائر في العهد العثماني"، دراسات تراثية، العدد 5، الجزء 2، 2014، ص 304.
7. مثقف فرنسي ورث الراية عن جده الذي كان ضابطا بالجيش الفرنسي في عهد الأمير.
8. Lombard M., **Les textiles dans le monde musulman du 7eme au 12eme siècle**, Paris, La Haye, New York, 1978, pp : 44-45
9. مسعود بورابعة، نماذج من مخلفات الأمير عبد القادر (مجموعة المتاحف المركزي للجيش) دراسة تاريخية أثرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، ص 70
10. انظر: علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، ط 3، دار المنيرة، جدة، 1983، ص ص 43.....50.
11. علي الطنطاوي، ناجي الطنطاوي، أخبار عمر و اخبار عبد الله بن عمر، ط 8، بيروت 198 م.
12. أحمد المزيّد عادل الرشيدى، عثمان بن عفا رض الله عنه، دار الوطن للنشر، دت، ص ص 15...
13. أحمد المزيّد، ادل الرشيدى، على ابن ابي طالب رضي الله عنه، دار الوطن للنشر، دت، ص ص 5...16.
14. ابن المبرد (يوسف ابن حسين ابن عبد الهادي المقدسي جمال الدين)، محض الخلاص في مناقب سعد ابن ابي وقاص، تحقيق محمد بن ناصر العجي، دار البشائر العربية، ط 2006، 1.
15. عائشة حنفي، المرجع السابق، ص 309
16. عشراتي سليمان، المرجع السابق، ص 149.
17. نفسه، ص 149
18. صالح بن قربة، "المرجع السابق، ص 5.

19. ابن خلدون، المقدمة، ج 2 (ت. ذ، على عبد الواحد وافي) (ط. لجنة البيان العربي) (القاهرة ، 1966، ص 806
20. سامح اسامة عرفات، الفن الإسلامي، ط1، عمان_الأردن، د.ت.، ص 58_59.
21. محمد حسن زكي، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي، ، دار الرائد العربي، بيروت، 1981،، ص 81.
22. نفسه، ص 151.
23. عفيف بهنسي، جمالية الفن العربي، عالم المعرفة، الكويت، 1982م، ص 96.
24. ربيع حامد خليفة، (العناصر المعمارية ودورها في مجال زخرفة الفنون التطبيقية العثمانية)، مجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة العدد السادس، ص 84_85.
25. ياسين عبد الناصر، الرمزية الدينية في الزخرفة الإسلامية (دراسة في ميثافيزيقا الفن الإسلامي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2006م، ص 238.
26. محمد بن عب القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر ومآثر الأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ط 1، دار اليقظة العربية، 1964، ص 165.
27. موريس لومبار، الإسلام في مجده الأول، ترجمة: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 272.
28. ناصر الدين سعيدوني ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 69.
29. نفسه، ص 69.
30. الآية 13 من سورة الصف
31. المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة، فن الفروسية في الجزائر القرنان 18 و19م، وزارة الثقافة، 2012، ص75
32. مسعود بورابعة، نماذج من مخلفات الأمير عبد القادر (مجموعة المتاحف المركزي للجيش) دراسة تاريخية أثرية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009م، ص67.
33. الآية 18 من سورة الفتح.

34. عبد اللطيف الخلافي، الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي (96_669هـ/155_270م)، مكتبة لثقافة الدينية، 2011م، ص266.
35. اشرف صالح محمد سيد محمد، النسيج حكاية صناعة شعبية وحرفية مصرية عريقة، مجلة عود الند، العدد72، 2012
36. عياض عبد الرحمن الدوري، دلالات اللون في الفن العربي الإسلامي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2002م، ص 19.
37. الآية 187 من سورة البقرة.
38. الآيتان 106_107 من سورة آل عمران.
39. مالك شبل ، معجم الرموز الإسلامية، شعائر_تصوف_حضارة، نقله الى العربية أنطوان الهاشم، دارالجيل طبعة 1، 2000م.ص282.
40. عياض عبد الرحمن الدوري، المرجع السابق، ص80.
41. الآية 31 من سورة الكهف.
42. الآية 76 من سورة الرحمن.
43. الآية 99 من سورة الأنعام.
44. عائشة حنفي، المرجع السابق، ص309